التكرار في طائفة من أحاديث الرسول ﷺ

دراسة وظيفية أسلوبية لأسلوب من أساليب الإقناع في الخطاب النبوي

د. فوز سهيل كامل نزال *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٩/٣/٢٦م تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٩/٦/١٦م

ملخص

استخدم رسول الله ﷺ أساليب لغوية متعددة في خطابه مع الآخر تتناسب مع الموضوعات التي جسمتها للتأثير في المتلقي والانتقال به من دور المستمع إلى المنصت المدرك إلى المقتنع بالفكرة إلى المنفذ لها.

ويأتي التكرار على رأس هذه الأساليب بصوره المتعددة وتوزيعاته المتنوعة في جسد الخطاب النبوي الشريف.

وقد حاولت هذه الدراسة الوقوف على ضروب هذا الأسلوب وتوزيعاته معللة اختيارها ومبينة الدور الدلالي الذي أنتجته في الخطاب النبوي الشريف.

Abstract

The prophet (peace be upon him) has used different linguistics varieties through his discourses with others. These varieties suite the topics which they embody to influence the receiver and move him from the role of being just mere listener to a recognizer to somebody who is convinced in the idea to an applier to it.

The repetition comes on the head of these methods in its multiple views and varieties in the prophet's discourse.

This study has tried to clarify types of this method and its varieties showing the reason of choosing these methods which have been produced in this discourse.

مقدمة:

استخدم رسول الله عليه الصلاة والسلام أساليب لغوية متعددة في خطابه مع الآخر تتناسب مع الموضوعات والأفكار التي جسمتها ناقلا المتلقي من دور الاستماع إلى دور الإنصات فالإدراك فالاقتناع المؤدي إلى الفعل المجسم للمعتقد.

ويأتي أسلوب التكرار بصوره المتعددة وتوزيعاته المتنوعة في جسد الخطاب النبوي على رأس الأساليب التي انتقاها رسول الله ﷺ لإقناع المتلقي.

وقد أشار أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا"[١].

ولعل استخدام هذا الأسلوب يتناسب مع الهـدف التعليمي الراقي الذي كان رسول الله ﷺ ينشده في دعوته، ولعله ينسجم مع مراعاة الفروق الفردية في التلقي، فرسول الله ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم. والفكرة الواحدة تتلقفها الأذهان بسرعات متفاوتة، وتترسخ دلالاتها في العقول بتدرج، بحيث يحمل الدال دلالة ويضيف الدال المكرر دلالة أخرى.

ويرتبط التكرار باختيار المتكلم لعنصر لغوي من عناصر الخطاب ليكرره، ويكون هذا الاختيار واعيا مقصودا، وقد يكون بغير قصد أو إدراك عقلي لهذا الاختيار للمكرر من بين احتمالات لغوية متعددة، فيكون كشفا لطبيعة التجربة النفسية أو الشعورية للمتكلم مظهرا لانفعالاته.

والتكرار أسلوب يرتبط بالنظم، يشبع الفكرة ويقويها في ذهن المتلقي إذا استخدم استخداما ذكيا مناسبا لمقام الخطاب، كما ويولد إيقاعا خارجيا لافتا

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

في النص شعرا كان أو نثرا يسهل على الأذهان استرجاعه واستذكاره، فالعقول تصنف المتماثلات كما تسترجعها حين تطلبها خاصة إذا اتخذت أماكن مخصصة في النص. ولذا لا بد من دراسته في سياقه الكلي الذي يرد فيه.

والتكرار لغة من الكر وهو: الرجوع على الشيء، "فكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى. والكَرَّة: المرة، والجمع: الكَرّات، يقال: كررت عليه الحديث وكرّكرته إذا رددته عليه"[٢].

والتكرار اللفظي في اصطلاح علماء البلاغة: إعادة الكلمة بلفظها ومعناها في القول مرتين فصاعدا لنكتة[٣]. وهو إعادة العنصر المعجمي نفسه بتعبير علم اللسانيات النصية.

والتكرار شكل من أشكال الإطناب في علم المعاني في البلاغة العربية. والإطناب زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة.

وفي النحو العربي يعد التكرار ضربا من ضروب التوكيد اللفظي.

وللتكرار اللفظي وظائف حرص البلاغيون على رصدها، فإذا لم تكن له وظيفة دلالية في النص فهو عندهم عيب أو هو "الخذلان بعينه" كما عبّر عنه ابن رشيق[٤] الذي رصد للتكرار اللفظي عدة وظائف منها: التوكيد، وزيادة التنبيه، والوعد والتهديد، والتوجع، والهجاء، والتهكم، والتفخيم والتعظيم، والتشويق، والتلذذ بذكر المكرر، والتوبيخ[٥].

وتنبه علم النفس على أهمية الأثر الذي يولده أسلوب التكرار في متلقيه، يقول الدكتور مصطفى فهمي في كتابه "الدوافع النفسية: "إنه متى كثر تكرار أمر، تولد تيار فكري وعاطفي يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو العدوى، إذ لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لابد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثه، فالتكرار هو السبيل الوحيدة لربط الانفعال به، وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العاطفة"[٦].

وهذا يعني أن تكرار القول لا يقل تأثيرا في إثارة الانفعال وتكوين العواطف عن تكرار الفعل، بل إن تكرار القول حافز هام لحدوث الفعل.هذا بالإضافة إلى الحديث عن التكرار اللاشعوري في القول الذي يعكس نفسية المتكلم ومشاعره.

وكلما تشابهت البنية اللغوية فإنها تمثل بنية نفسية متشابهة ومنسجمة تهدف إلى تبليغ الرسالة عن طريق الإعادة التي تكون تكرارا متجاورا أو متباعدا.

ويتشكل التكرار بإعادة الدال مرة بعد أخرى بلفظه ومعناه وانزياحه من نقطة مكانية إلى نقطة أخرى في الخطاب مشكلا ظاهرة لغوية راسخة ذات نتاج دلالي مميز، أي إنَّ الدال والدال المكرر يحافظان على توافقهما الشكلي ثم يحافظان على توافقهما العميق، لكن تأتي إضافة لها أهميتها في إنتاج المعنى تتمثل في اختلاف المنطقة التي يسلط كل دال فاعليته عليها، وهي إضافة لا تنتقص من التوافق بين الدَّالين، وإنما تنمي فاعليتهما مشكلة اتساعا في مساحة المعنى الدلالي[٧].

وهكذا فإن استخدام الرسول ﷺ لأسلوب التكرار يعد تقنية خطابية ينفذ بها إلى عقل المتلقي وقلبه، فالتكرار من أساليب التوكيد التي استخدمها رسول الله ﷺ لتبليغ الرسالة وتعليم الدين، وهو يجسد حرصه، ﷺ، على أن تصل كلمته واضحة جلية إلى الأذهان كافة: **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[١٢٨: التوبة].

ورسول الله ﷺ مأمور ببيان الرسالة وتبليغها بالطرائق التي تنسجم و تتناغم مع القلوب والعقول: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[٦٧: المائدة].

وهذا يعني ضـــرورة الكشف عن الموضوعـــات

التي تشكلت فيها الأبنية التكرارية لبيان ملاءمة أسلوب التكرار للموضوعات التي تقولبت فيه، وما أنتجه هذا الذكاء في اختيار الأسلوب من دلالات متنوعة الأبعاد.

ومن الجدير أن نذكر أنه ﷺ كان يدعو إلى تكرار عبارات معينة محددا عددا معينا، ولعل لهذا التحديد دلالاته وطاقاته التأثيرية في نفس المتلقي الذي سيلتزم بتكرار العبارة:

عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص ﷺ، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ:" ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله- ثلاثا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"(٨).

وعن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال:" من عاد مريضا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض"(٩).

كما كان رسول الله ﷺ يحدد مرات التكرار دون أن يذكر عدد مرات التكرار وذلك بأن يكرر العبارة مرتين أو ثلاث أو سبع مرات، فيتلقف المتلقي العبارة ومرات تكرارها ملتزما بما ألزم رسول الله ﷺ نفسه، وكأن رسول الله ﷺ يحث بهذا التكرار على الإلحاح بالدعاء للمريض وإظهار حرص عائد المريض مواساة له وتصبيرا وتشجيعا على الثبات.

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: عادني رسول الله ﷺ، فقال: "اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا"(١٠).

وورد أيضا في رواية عدد من الأحاديث النبوية أن رسول الله ﷺ كان يردد عبارات محددة ترددا غير محدد العدد، وكأنه يلاحق المتلقي بدلالات العبارة المكررة بكل ما فيها من انفعالات قصد عليه الصلاة و السلام إيصالها بنبضها وقوتها للمتلقي ليحذر أمرا ما كقوله ﷺ: "**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**-ثلاثا- قلنا: بلى يا رسول الله. قال: "**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**" وكان متكئا فجلس، فقال: "**ألا وقول الزور وشهادة الزور** "فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"(١١).

إنه ﷺ ينهي خطابه السابق بتكرار لم يحدد الراوي عدده، ووقع أثر هذا التكرار في نفس سامعيه (حتى قلنا ليته سكت) الذين علقوا على التكرار غير المحدد بأنهم تمنوا توقف رسول الله عن تكرار العبارة "ألا وقول الزور وشهادة الزور" شفقة منهم على رسول الله ﷺ الذي تفاعل مع العبارة المكررة جسديا (كان متكئا فجلس) مظهرا خطورة الزور قولا وشهادة، حتى إننا نجده يظهر كلمة (الزور) ولا يضمرها مسلطا الأضواء عليها ليتجنبها المتلقي بقوة وعزم.

وبعد محاولة رصد تشكلات التكرار اللفظي في لغة الخطاب النبوي رأينا صورا متعددة للدوال والدوال المكررة، وطريقة التكرار، ومكانه، والمساحة بين الدَّالين.

فقد جاء التكرار في عدد من الخطابات النبوية تاما متجاورا بلا فاصل لغوي بين الدال الأول والدال المكرر:

"**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**" قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه"(١٢).

إنه ﷺ يستهل خطابه استهلالا قويا لافتا تنغيمه الصاعد بفضل التكرار التام المتجاور لعبارة (والله لا يؤمن)، هذا الأسلوب اللافت في عتبة الخطاب يحاصر المتلقي منذ البدء، الأمر الذي جعلنا نسمع نبض الخوف والفضول في سؤال من تلقى هذا الاستهلال (من يا رسول الله؟).

وجاء التكرار التام المتجاور في نهاية الخطاب لتقوية الفكرة أو الهدف لتبقى في ذهن المخاطب تتفاعل مع عقله ومشاعره:

"**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد،**

وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[١٣].

وقد بني خطابه بأكمله على التكرار التام المتلاحق:

"**ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**"[١٤].

وهذا من أساليب البيان بما فيه من التكرار الذي أفاد التوكيد، ولو نظرنا في العبارة السابقة المكررة تكرارا تاما وجدنا فيها أدوات الإقناع (ألا) و(إن) وهذا يجعل التأكيد حاضرا واضحا نافذا.

وأدى التكرار في **نهايات العبارات في خطابه** ﷺ دوره في التأكيد والتفصيل: "**من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا**"[١٥].

ولنا أن نتبيّن الدور الدلالي لهذا الشكل من التكرار لو أعدنا طرح الفكرة دون هذا الأسلوب في النظم (من حمل علينا السلاح وغشنا فليس منا)، فالفكرة قد طرحت ولكن بتجرد من رغبة المرسل في التوضيح والتحذير، ولا شك في أن التكرار في نهاية العبارتين يمنح كل عبارة حقها من الدلالة وهذا لا يتحقق بجمع العبارتين في خبر واحد.

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ:

"من جهّز غازيا في سبيل الله **فقد غزا**، ومن خلف غازيا في أهله **فقد غزا**"[١٦].

وقوله: "صوموا **لرؤيته**، وأفطروا **لرؤيته**، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"[١٧].

وقوله: "رباط يوم في سبيل الله **خير من الدنيا وما عليها**، وموضع سوط أحدكم من الجنة **خير من الدنيا وما عليها**، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة **خير من الدنيا وما عليها**"[١٨].

وقد يتكرر الدال في **بدايات العبارات** في خطابه عليه الصلاة والسلام مؤديا دوره في التوضيح والتفصيل والبيان خاصة في باب الدعاء لما فيه من رغبة في البسط والإلحاح والإلمام:

"اللهم إني أعوذ بك **من شر** سمعي **ومن شر** بصري **ومن شر** لساني **ومن شر** قلبي **ومن شر** منيي"[١٩] إنه ﷺ بتكراره لشبه الجملة (من شر) يجسم الإذعان والاعتراف بكون الإنسان يخطئ و قد يعم الخطأ سائر أعضاء جسمه (السمع، البصر، اللسان، القلب، المني).

وقوله: "**لا إله إلا الله** العظيم الحليم، **لا إله إلا الله** رب العرش العظيم، **لا إله إلا الله رب** السموات **ورب** الأرض **ورب** العرش الكريم"[٢٠].

وقوله: "**اللهم إني أعوذ بك من** الجوع فإنه بئس الضجيع، **وأعوذ بك من** الخيانة فإنها بئست البطانة"[٢١].

وقوله: "اللهم أنت عضدي ونصيري، **بك** أحول، **وبك** أصول، **وبك** أقاتل"[٢٢].

وتكرر الدال في سياقات التفصيل منتجا ترابطا أو تماسكا في جسد النص يسلط الأضواء على المفهوم الذي أراد ﷺ إيصاله.

ومن هذه السياقات المستدعية للتكرار التعليل وبيان السبب،كما جاء في قوله: "**إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة** هلكة، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة"[٢٣].

وقوله: "لا تُسَمُّوا العنبَ **الكرمَ**، فإن **الكرم** المسلم"[٢٤].

وقوله: "اتقوا **الظلم** فإن **الظلم** ظلمات يوم القيامة، واتقوا **الشح** فإن **الشح** أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"[٢٥].

ومن **سياقات التفصيل التي جاء فيها التكرار مؤديا دور التدرج والربط ما جاء في** قوله عليه الصلاة والسلام: "يسلم الراكب على **الماشي**، و**الماشي** على القاعد، والقليل على الكثير"[٢٦].

وقوله: "إن الصدق **يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى** الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب **يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى** النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[٢٧].

وقوله: "من خاف **أدلج**، ومن **أدلج** بلغ المنزل، **ألا إن سلعة الله** غالية، **ألا إن سلعة الله** الجنة"[٢٨] لقد بنى ﷺ خطابه السابق على أسلوب التكرار، فالفعل (أدلج) الذي انتهت به الجملة الأولى تكرر في مطلع الجملة الثانية،واتصل به خبر فيه توضيح وتتابع لدلالة الجملة الأولى.

وفي تكراره لجملة (ألا إن سلعة الله) ارتبط الدال الأول بخبر (غالية) وارتبط الدال المكرر بخبر تفصيلي توضيحي للخبر الأول (الجنة). وكذلك الحال في الحديثين السابقين للحديث الشريف المذكور.

وفي قوله ﷺ: "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية[٢٩] تتابع الدوال المكررة تتابعا ينتج تماسكا نصيا يمتد من أول الخطاب إلى آخره مؤكدا فكرة البركة.

وأدى التكرار في عدد من خطاباته عليه الصلاة والسلام دور التفصيل بعد الإجمال ومن ذلك قوله ﷺ:

"إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء **كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك** إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا، **ونافخ الكير**، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة"[٣٠].

وقوله: "ثلاث **دعوات** مستجابات لا شك فيهن: **دعوة** المظلوم، و**دعوة** المسافر، و**دعوة** الوالد على ولده"[٣١].

فما ذكر مجملا في الجملة الاستهلالية "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير..." وفي الجملة الاستهلالية "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن..." فصل لفظيا ودلاليا في الحديثين الشريفين مجسما التماسك النصي بين البنى الافتتاحية وصلب الخطاب.

ويؤدي **تكرار الأدوات** دور التفصيل ويبرز كل مفردة اقترنت بالأداة، ومنه:

تكرار (لا النافية) في قوله عليه الصلاة والسلام: "ليس المؤمن بالطعان **و لا** اللعان **و لا** الفاحش **و لا** البذي"[٣٢].

وقوله: "ثلاثة **لا** يكلمهم الله يوم القيامة، **و لا** ينظر إليهم، **ولا** يزكيهم، ولهم عذاب أليم" وقد علق راوي الحديث أبو ذر الغفاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال الخطاب السابق ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: "المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب"[٣٣].

وإذا تأملنا رد فعل أبي ذر على خطابه،عليه الصلاة والسلام، فإننا نراه يجسم أثر التكرار في نفس المتلقي، وما يثيره من مشاعر الفضول والإنكار "خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟".

ومن تكرار الأدوات تكرار (لا الناهية) الذي يعد أمرا لا فتا في وصاياه عليه الصلاة والسلام:

"**لا** تقاطعوا **و لا** تدابروا **و لا** تباغضوا **و لا** تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا. و لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[٣٤] (٣٤).

وقوله: "**لا** تحاسدوا، **ولا** تناجشوا، **ولا** تباغضوا، **ولا** تدابروا، **ولا** يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. (المسلم) أخو (المسلم): **لا يظلمه** و **لا يحقره ولا يخذله**. التقوى ههنا- **ويشير إلى صدره ثلاث مرات**- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه (المسلم)، كل (المسلم) على (المسلم) حرام: دمه، وماله، وعرضه"[٣٥].

إن الخطاب الشريف السابق حافل بالتكرار،وهذا يتسق مع الوصية وما فيها من التفصيل والتوضيح ورصد الفكرة الواحدة أو الأفكار المتقاربة دلاليا في قالب شكلي متماثل: فقد تكرر تركيب النهي مع اختلاف السلوكيات والأخلاق التي نهى الرسول ﷺ عنها جامعا إياها في خيط دلالي واحد هو النهي عن ارتكابها: (لا تحاسدوا، لا تناجشوا، لا تباغضوا، لا تدابروا، لا يبع بعضكم على بيع بعض).

ثم نجده، ﷺ، يُعرِّف الأخوة الإسلامية بسلسة من الأفعال جامعا إياها في أسلوب متماثل أو متكرر هو أسلوب النفي: (لا يظلمه، لا يحقره، لا يخذله).

ثم يُعرِّف مفهوم التقوى بحركة إشارية مكررة لها دلالة واضحة حيث أشار إلى صدره ثلاث مرات مؤكدا بهذه الإشارة وتكرارها فكرة كون مقر التقوى هو القلب، وأنها خلق خفي لا يعلمه ولا يطّلع عليه سوى الله.

واختار للمحرمات التي يحظر على المسلم مساسها تركيبا واحدا أظهرها في قالب شكلي متقارب منسجم مع وحدة الفكرة هو التركيب الإضافي: (دمه، ماله، عرضه).

وبرز في خطابه، عليه الصلاة والسلام، التكرار الذي يأتي **فيه الدال الأول منفيا والدال المكرر مثبتا،** وذلك في سياق تحديد المفاهيم أو المبادئ الجديدة وسلب دلالات هذه المفاهيم السائدة في أذهان المتلقين، كما جاء في قوله:

"**ليس الشديد** بالصرعة، **إنما الشديد** الذي يملك نفسه عند الغضب"(٣٦).

وقوله: "**ليس الواصل** بالمكافئ، **ولكن الواصل** الذي إذا قطعت رحمه وصلها"(٣٧).

وقد يأتي الدال الأول في مقام النهي والدال المكرر في مقام الأمر، ويبدو أن هذا اللون من التكرار يدل على أن رسول الله ﷺ لا يسلب المتلقي فكرة ما أو سلوكا إلا ويبدله بفكرة أو سلوك يتناسبان مع روح التعاليم الإسلامية مستدركا ومؤكدا:

"**لا يقولن أحدكم** خبثت نفسي، **ولكن ليقل:** لقست نفسي"(٣٨).

وقوله: "**لا تقولوا:** ما شاء الله وشاء فلان، **ولكن قولوا:** ما شاء الله ثم شاء فلان"(٣٩).

وكثر ارتباط **أسلوب التكرار مع التضاد أو الطباق،** وبدا وكأنه كفة الميزان بين مفهومين متناقضين دلاليا ليختار المتلقي أحدهما:

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: **اللهم أعط منفقا خلفا،** ويقول الآخر: **اللهم أعط ممسكا تلفا**"(٤٠).

وقوله عليه الصلاة والسلام: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل** ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. **ألا أخبركم بأهل النار؟ كل** عتل جواظ مستكبر"(٤١).

وكثر هذا اللون من التكرار في الدعاء لما في التضاد من إيحاء بالإحاطة والشمول:

"لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك **من (خير) هذه الريح و(خير) ما فيها و(خير) ما أمرت به،** ونعوذ بك **من (شر) هذه الريح و(شر) ما فيها و(شر)ما أمرت به**"(٤٢).

وقوله: "اللهم آتنا **في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة،** وقنا عذاب النار"(٤٣).

وقوله: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما **كانت الحياة خيرا لي،** وتوفني إذا **كانت الوفاة خيرا لي**"(٤٤).

ومن صور التكرار في أحاديثه، ﷺ، **أن يتكرر الفعل ويختلف الفاعل،** ولهذا الأسلوب دلالاته في الشرط ورد الفعل (السبب والنتيجة) ومنه قوله عليه الصلاة والسلام:

"من **رد عن** عرض أخيه، **رد الله عن** وجهه يوم القيامة"(٤٥) وكأني بالتكرار هنا يجسم فكرة بيان أن الجزاء من جنس العمل.

ومنه ما جاء في تشبيه فعل صدر عن فاعل بفعل صدر عن فاعل آخر كقوله:

"ما **يجد الشهيد من مس القتل** إلا كما **يجد أحدكم من مس القرصة**"(٤٦) ففي التكرار هنا تقريب صورة من صورة أخرى لما في التكرار من تماثل وتشابه وكأن الصورة الأولى "ما يجد الشهيد من مس القتل" هي صنوان أو مثيل الصورة التي ورد فيها الدال مكررا " إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة".

ومنه ما جاء في اختلاف الفاعلين المشتركين في الفعل المكرر في مفعولهما كقوله:

"لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم **جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا،** فقضي

بينهما ولد لم يضره"[٤٧] فالفعل الذي تكرر (جنّب) اتصل مرة بمفعول به هو الضمير المتصل (نا) ومرة بمفعول به هو الاسم الصريح (الشيطان) دالا على تأكيد فكرة تجنب أذى الشيطان.

وقوله: "خيار أئمتكم الذين **تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم**، وشرار أئمتكم الذين **تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**". قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة"[٤٨]. لقد جسم التكرار في الحديث الشريف السابق فكرة تماثل السلوكيات بين أولياء الأمر والرعية، سواء أكانت سلوكيات إيجابية أم سلبية. وقد ختم رسول الله ﷺ خطابه بإجابة على سؤال المتلقين استخدم فيها أسلوب التكرار التام "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة" وكأنه بهذا التكرار يجسم فكرة التحذير والتنبيه من الانشقاق على الحكام وأولياء الأمر.

ويحفل عدد كبير من خطابات الرسول **بتكرار الأصوات** مشكلا بهذا التكرار الموزع بدقة إيقاعا صوتيا لافتا:

"تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء"[٤٩].

وقوله: "أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"[٥٠].

وقوله: "إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[٥١].

ومن تكرار الأصوات تكرار **الصيغة الصرفية** كتكرار صيغة اسم الفاعل في قوله:

"بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا **منسيا**، أو غنى **مطغيا**، أو مرضا **مفسدا**، أو هرما **مفندا** أو موتا **مجهزا** أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"[٥٢].

ومن تكرار الأصوات **تكرار الضمائر**، كتكرار الواو التي يخاطب فيها الجماعة كما في قوله:

"**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**"[٥٣] وقد سبقت الواو بصوت آخر مكرر هو الراء، وتكرر في الحديث تركيبا الأمر والنهي أيضا، وهذه الأشكال من التكرار تحدث انسجاما واضحا بين الإيقاع الخارجي والإيقاع الداخلي.

ومن صور التكرار في أحاديث الرسول **التكرار مع القلب**، أي أن الدال الأول والدال المكرر يتبادلان الأماكن في جسد النص وهذا يؤدي دور التأكيد للفكرة والمساواة:

كقوله: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما **لا بأس به** حذرا مما **به بأس**"[٥٤].

وقوله: "لو دعيت إلى **كراع أو ذراع** لأجبت، ولو أهدي إلي **ذراع أو كراع** لقبلت"[٥٥].

وقد يأتي التكرار في إجابات الرسول عليه الصلاة والسلام عن أسئلة توجه إليه، فيؤكد بتكرار الإجابة عن أسئلة مختلفة الفكرة التي يريد، كما جاء في إجابته عن أسئلة الرجل المتعلقة بأحق الناس بحسن صحبته:

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: "**أمك**" قال: ثم من؟ قال: "**أمك**" قال: ثم من؟ قال: "**أمك**" قال: ثم من؟ قال: "أبوك"[٥٦].

إنه، ﷺ، يعيد إجابته الأولى مع علمه بأن السائل يرنو إلى إجابة أخرى لا إلى الإجابة الأولى ولذلك نراه أعاد السؤال طالبا بسؤاله المكرر تحديد هوية شخص آخر بالإضافة إلى الأم ليكن أحق الناس بحسن الصحبة، فإذا بالإجابة الأولى تلاحقه مرة ثانية معززة ومؤكدة عظم هذه الصحبة وأحقيتها وأنها مقدمة على أي علاقة.

ويطرح السائل سؤاله مرة ثالثة: "ثم من؟" فتأتي الإجابة ذاتها وقد قصدها رسول الله قصدا يؤكد دلالات

البر والإحسان إلى الأم وتقديمها على أي إنسان.

ويأتي السؤال الرابع مشحونا بطلب يختلف عن ذلك الكامن في الأسئلة السابقة وإن اتفق معها في البنية السطحية: "ثم من؟" وذلك بفعل إجاباته المتكررة عليه الصلاة والسلام الذي أجابه بما يتفق مع مطلوب السائل في اختيار إنسان آخر غير الأم فتكون: "أبوك".

وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: "**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر، محتسب مقبل غير مدبر**" ثم قال رسول الله ﷺ: "كيف قلت؟" قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: "**نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر**، إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك"(٥٧).

ولنا مع الخطاب السابق وقفة تأملية في قوله عليه الصلاة والسلام للسائل بعد أن أجاب عن سؤاله: "**كيف قلت؟**" وكأنه يطلب منه تكرار سؤاله، وهذا ما حدث، فقد أعاد الرجل طرح سؤاله مجددا: "أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟"

وإذا تساءلنا عن علة طلبه ﷺ بتكرار السؤال فإننا نجدها في إجابته التي تكررت مع إضافة جديدة لم تكن في الإجابة الأولى وهي: "إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك" وهذا يعني استدراكا على الإجابة الأولى وتوكيدا لأهمية سؤال الرجل لما فيه من الكشف والتوضيح الذي يهم المسلمين كافة.

ختاماً؛

فما ذكرته مجرد لمسات أسلوبية لطائفة من النصوص النبوية الشريفة التي حفلت بأسلوب التكرار بصوره المتعددة وتوزيعاته المنوعة في جسد النص مؤديا إنشاء دلالات وإيقاعات ما كانت تتولد بحضور اللفظ مرة واحدة فقط.

وقد وقفت على أحاديث شريفة دعا فيها الرسول ﷺ إلى التكرار بأساليب مختلفة محددا عدد مرات تكرار عنصر لغوي أو أكثر لهدف ما يكشفه السياق، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعيد اللفظ نفسه سواء كان صوتا أو كلمة أو جملة.

وأحيانا كنا نرى راوي الحديث يذكر أن رسول الله كرر قولا غير مرة، كأن يعلق الراوي: "مرارا" أو "ثلاث مرات" أو "فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت".

ولعل حضور المتلقي في ذهنه عليه الصلاة والسلام كان الدافع وراء اختيار أسلوب التكرار في عدد من خطاباته، فرسول الله يخاطب الناس على قدر عقولهم ومواقفهم فمنهم المنكر والمتردد والجاهل والمسترشد..إلخ، وهو يبصر ببصيرته وحكمته موقف المتلقي لخطابه فينتقي الأسلوب الأمثل لإقناعه أو تحفيزه لتنفيذ فعل ما، أو لترغيبه وربما لترهيبه.

كل هذا وأكثر من الدلالات والأهداف الممزوجة بإيقاع يتولد من تكرار المتماثلات، يضفي على خطابه ﷺ رونقا وجمالا يجسم الفكرة في أبهى حلة لفظية.

وما ذكرته هو قراءة تنتظر قراءات أخرى لأسلوب التكرار في حديث رسولنا الكريم. وهو أسلوب من أساليب عديدة انتقاها عليه الصلاة والسلام الذي لا ينتطق عن الهوى ليكون خطابه أبين وأكثر إقناعا.

الهوامش:

(١) البخاري، **الصحيح**، الكتاب: العلم، الباب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، رقم الحديث: ٩٣/٩٢.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كرر).

(٣) ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق وتقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩م، ج٢، ص١٤٦. وابن معصوم، علي بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر

هادي، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٩٦٨م، ص٣٤٥.

(٤) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١م، ط٥، ج٢، ص٧٣.

(٥) ابن رشيق، **العمدة**، ج٢، ص٧٤-٧٦.

(٦) مصطفى فهمي، **الدوافع النفسية**، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٠م، ص١٠١.

(٧) عز الدين علي، **التكرير بين المثير والتأثير**، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٧٨م، ص٢٤٥. ومحمد عبدالمطلب، **البلاغة العربية: قراءة أخرى**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧م، ص٣٦٥

(٨) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: السلام، الباب: استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، رقم الحديث: ٤٠٨٢.

(٩) أبو داود، **سنن أبي داود**، الكتاب: الجنائز، الباب: الدعاء للمريض عند العيادة، رقم الحديث: ٢٧٠٠.

(١٠) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الوصية، الباب: الوصية بالثلث، رقم الحديث: ٣٧٠٩.

(١١) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الشهادات، الباب: ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث: ٢٤٦٠.

(١٢) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث: ٥٥٥٧.

(١٣) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الطهارة، الباب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم الحديث: ٣٦٩.

(١٤) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الإمارة، الباب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم الحديث: ٣٥٤١.

(١٥) أبو داود، **سنن أبي داود**، الكتاب: البيوع، الباب: النهي عن الغش، رقم الحديث: ٢٩٩٥.

(١٦) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الجهاد والسير، الباب: فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، رقم الحديث: ٢٦٣١.

(١٧) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الصوم، الباب: قول النبي إذا رأيتم الهلال فصوموا، رقم الحديث: ١٧٧٦.

(١٨) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الجهاد والسير، الباب: فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم الحديث: ٢٦٧٨.

(١٩) أبو داود، **سنن أبي داود**، الكتاب: الصلاة، الباب: الاستعاذة، رقم الحديث: ١٣٢٧.

(٢٠) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الدعوات، الباب: الدعاء عند الكرب، رقم الحديث: ٥٨٧٠/٥٨٦٩.

(٢١) النسائي، **سنن النسائي**، الكتاب: الاستعاذة، الباب: الاستعاذة من الجوع، رقم الحديث: ٥٣٧٣.

(٢٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، الكتاب: الجهاد، الباب: ما يدعى عند اللقاء، رقم الحديث: ٢٢٦٢.

(٢٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: الجمعة عند رسول الله، الباب: ما ذكر في الالتفات في الصلاة، رقم الحديث: ٥٣٨/٥٣٧.

(٢٤) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، الباب: كراهية تسمية العنب كرما، رقم الحديث: ٤١٧٢.

(٢٥) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: البر والصلة والآداب، الباب: تحريم الظلم، رقم الحديث: ٤٦٧٥.

(٢٦) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: السلام، الباب: يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، رقم الحديث: ٤٠١٩.

(٢٧) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا..، رقم الحديث: ٥٦٢٩.

(٢٨) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، الباب: ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم الحديث: ٢٣٧٤.

(٢٩) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: الأطعمة عن رسول الله، الباب: ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين، رقم الحديث: ١٧٤٣.

(٣٠) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: البر والصلة والآداب، الباب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث: ٤٧٦٢.

(٣١) أبو داود، **سنن أبي داود**، الكتاب: الصلاة، الباب: الدعاء بظهر الغيب، رقم الحديث: ١٣١٣.

(٣٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: البر والصلة عن رسول الله، الباب: ما جاء في اللعن، رقم الحديث: ١٩٠٠.

(٣٣) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الأمور المنهي عنها، الباب: صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء، رقم الحديث: ٧٩٥.

(٣٤) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث: ٥٦٠٤/ ٥٦٠٥.

(٣٥) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، رقم الحديث: ٥٦٠٦.

(٣٦) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: الحذر من الغضب، رقم الحديث: ٥٦٤٩.

(٣٧) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: ليس الواصل بالمكافئ، رقم الحديث: ٥٥٣٢.

(٣٨) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: لا تقل خبثت نفسي، رقم الحديث: ٥٧١٢/٥٧١١.

(٣٩) الإمام احمد، **مسند الإمام أحمد**، الكتاب: باقي مسند الأنصار، الباب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي، رقم الحديث: ٢٢١٧٩.

(٤٠) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الزكاة، الباب: قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، رقم الحديث: ١٣٥١.

(٤١) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: الكبر، رقم الحديث: ٥٦١٠.

(٤٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: الفتن، الباب: ما جاء في النهي عن سب الرياح، رقم الحديث: ٢١٧٨.

(٤٣) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الدعوات، الباب: قول النبي ربنا آتنا في الدنيا حسنة، رقم الحديث: ٥٩١٠٠.

(٤٤) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، الباب: كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم الحديث: ٤٨٤٠.

(٤٥) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: البر والصلة عن رسول الله، الباب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم، رقم الحديث: ١٨٥٤.

(٤٦) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: فضائل الجهاد عن رسول الله، الباب: ما جاء في فضل المرابط، رقم الحديث: ١٥٩١.

(٤٧) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الوضوء، الباب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، رقم الحديث: ١٣٨.

(٤٨) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الإمارة، الباب: خيار الأئمة وشرارهم، رقم الحديث: ٣٤٤٨/٣٤٤٧.

(٤٩) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الدعوات، الباب: التعوذ من جهد البلاء، رقم الحديث: ٥٨٧١.

(٥٠) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: الأطعمة عن رسول الله، الباب: ما جاء في فضل إطعام الطعام، رقم الحديث: ١٧٧٨/١٧٧٧.

(٥١) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: عقوق الوالدين من الكبائر،، رقم الحديث: ٥٥١٨.

(٥٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، الكتاب: الزهد عن رسول الله، الباب: ما جاء بالمبادرة بالعمل، رقم الحديث: ٢٢٢٨.

(٥٣) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب: الأدب، الباب: قول النبي يسروا ولا تنفروا وكان يحب التخفيف، رقم الحديث: ٥٦٦٠.

(٥٤) ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، الكتاب: الزهد، الباب: الورع والتقوى، رقم الحديث: ٤٢٠٥.

(٥٥) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، الباب: القليل من الهبة، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

(٥٦) البخاري، **صحيح البخاري**، الكتاب: الأدب، الباب: من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث: ٥٥١٤.

(٥٧) مسلم، **صحيح مسلم**، الكتاب: الإمارة، الباب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم الحديث: ٣٤٩٩/٣٤٩٨/٣٤٩٧.